مُمَات الألفاظ في مُعجم (المُحكم) لابن سيده الأندلسي(ت: 458هـ)

■ د. وردة إبراهيم سليمان*

● تاريخ استلام البحث 2023/12/07م ● تاريخ قبول البحث 2023/12/29م

■ **الملخص:**

في العربية هناك ألفاظ تتّسم بالبقاء والخلود على مرّ العصور، كما أنّه من العربية ألفاظ تهمل وتموت؛ لأسباب ودواعي لماتها، ويهدف هذا البحث إلى التعرّف على مصطلحات ممات الألفاظ في معجم (المُحكم) لابن سيده، ومنهجه في معالجته لهذه الظاهرة، وأسباب الممات، وأنواعه، وأُتُّبِعَ المنهج الاستقرائي الوصفي في وصف هذه الظاهرة، فأظهرت هذه الدراسة أنّ معجم (المُحكم) حُظي بعدد وافر من الألفاظ المُماتة، وأنّ ابن سيده لم يلتزم بمنهج واحد في نقل ومعالجة اللفظ المُمات، واستدلَّ بموت الألفاظ بشواهد قرآنية، وأحاديث نبوية، وأبيات شعرية، ولموت الألفاظ؛ أسباب صوتية، ودلالية، واقتراض لغوي، وكان الممات في معجم (المُحكم) من الأسماء و الأفعال.

● **الكلمات المفتاحية:** ممات الألفاظ- معجم- المحكم- ابن سيده.

■ **Abstract:**

In Arabic there are words that are characterized by survival and eternity throughout the ages, and there are also words in Arabic that are neglected and die. For reasons and reasons for their death, this research aims to identify the terminology of the death of words in the dictionary (Al-Muhkam) by Ibn Sayyidah, and its approach in treating this phenomenon, the causes of death, and its types. The descriptive approach was followed in describing

* محاضر بقسم اللغة العربية- كلية التربية قصر بن غشير- جامعة طرابلس. E- mail: wardaisoliman@gmail.com

this phenomenon, so this study showed that the dictionary (Al-Muhkam) had a number There are many dead words, and Ibn Sayyidah did not adhere to a single approach in transmitting and treating the dead words, and he cited the death of words with Qur'anic evidence, prophetic hadiths, poetic verses, and the death of words. Phonological, semantic, and linguistic borrowing reasons, and the dead in the (Al-Muhkam) dictionary were nouns and verbs.

● **Keywords:** Dead words - Dictionary - Al-Muhkam - Ibn Sayyidah.

■ مقدِّمة

عُني علماء اللّغة القدامى بجمع وشرح وتهذيب وتبويب مفردات اللغة العربية، وتدوين الممات والمهمل، والمستعمل من الألفاظ، ورصد تطورها اللغوي في المعاجم اللغوية، ومازالت الدراسات اللغوية الحديثة تواصل البحث في حفظ اللغة وتطويرها.

و معجم (المُحكم) لابن سيده من الكتب المهمّة التي أُلفت في مفردات اللغة العربية، فهو مُعجم شامل للظواهر اللغوية التي تدلّ على غزارة علم (ابن سيده)، فاحتوى على تفسير القرآن الكريم، ومسائل صوت، وصرف، ونحو، ولغة كالحمل على المعنى، وتداخل اللغات، والدخيل، والمعرّب واللهجات العربية، والمولّد، والنوادر، والممات مجال هذا البحث، فجاء عنوان البحث: **ممات الألفاظ في مُعجم (المُحكم) لابن سيده الأندلسي**، واعتمدتُ المنهج الاستقرائي الوصفي في هذه الدراسة، واحتوت هذه الورقة البحثية على مقدمة، و الممات لغة، واصطلاحا، و مصطلحات ممات الألفاظ في معجم (المُحكم) لابن سيده، و منهج ابن سيده في إيراد الممات، وأسباب موت الألفاظ، وأنواع الممات في (المُحكم)، وخاتمة: ذكرت فيها خلاصة ونتائج هذه الدراسة. **تساؤلات البحث:**

1- ما مفهوم مصطلح الممات؟ وهل لممات الألفاظ مصطلحات أخرى مترادفة، أو مقاربة له في المعنى في معجم المحكم لابن سيده ؟

2- ما ملامح منهج ابن سيده في تناوله لممات الألفاظ ؟

3- هل جاءت آراء ابن سيده موافقة لآراء علماء اللغة ؟ وهل من علماء اللغة من نقل عنه ؟

4- ما أنواع الممات في محكم ابن سيده ؟

وفيما يلي نتعرّف على مصطلح (الممات)، لغة واصطلاحاً، وعن مصطلحات ممات الألفاظ في معجم (المحكم) لابن سيده، ومنهجه في إيراد الممات، وأسباب موت الألفاظ، وأنواع الممات.

● **أولا: الممات لغة، واصطلاحاً:**

الممات لغة: المَوْتُ: ضد الحياة، ماتَ يموتُ، ويمَاتُ[1]، يقول الشاعر: [2]

بُنَيَّ، يَا سَيِّدةَ البَناتِ عِيشي، وَلَا يُؤْمَنُ أَن تَماتي.

ونقل ابن سيده عن ابن كُراع (ت: بعد309هـ)، قوله:" ماتَ يَمُوتُ، الأَصْلُ فيه مَوِتَ بالكسرِ يَمُوتُ. قال: ونَظِيرُه دِمْتَ تَدُومُ، إنما هُو دَوِمَ. والاسمُ من كُلِّ ذلِكَ الميتَةُ. ورَجُلٌ مَيِّتٌ ومَيْتٌ وقِيلَ: المَيْتُ: الذي ماتَ. والمَيِّتُ، والمائِتُ: الذي لم يَمُتْ بعدُ، والجَمْعُ: أَمْواتٌ.» [3]

الممات، اصطلاحاً: وهو ما كان مستعملا من ألفاظ اللغة، ثم أميت بالهجر، أو التطور اللغوي، أو النهي عن استعماله، فاستغنت عنه اللغة تماما، كأسماء الأيام والشهور القديمة، وبعض الألفاظ الجاهلية التي زالت لزوال معانيها. فالمنكر: غير المعروف في أصل اللغة، والضعيف: ما انحطّ عن درجة الفصيح والرّديء والمذموم، من أقبح اللّغات، وأنزلها درجة، والحوشيُّ وحشيُّ الكلام وغريبه، والشاذُّ يلتقي مع الحوشي والغريب والنادر من حيث غرابته و خروجه عن المعتاد من المقول» [4]

وعبّر علماء اللغة المحدثون عن مصطلح (الممات) في اللغة بقولهم: البقايا الأثرية[5]، وانقراض الكلمات[6]، والرُّكام اللغوي[7]، وموت الألفاظ، والممات في اللغة. [8]

إذن مصطلح الممات في العربية هو بِلى الألفاظ، وهجرها، واستغناء العربي عن استعمالها، واستبدالها بكلمات جديدة.

● **ثانياً: مصطلحات ممات الألفاظ في معجم (المحكم) لابن سيده:**

حُظي معجم (المُحكم) بعدد وافر من الألفاظ المُماتة، وهذا يدلّ على اهتمام ابن سيده بتدوين الألفاظ، وتتبع تطورها، ورصده لِبلى وممات المفردات في اللغة، وإلمامه بأسباب عدم قدرة الألفاظ على البقاء، ومن المصطلحات التي جاءت في (المحكم):

- (الممات): لعلّ مصطلح (الممات) من أكثر المصطلحات الدالّة على موت الألفاظ وفنائها، فذكر(ابن سيده) مصطلح الممات، في قوله:» دلانُ: من أَسْماءِ العَرَبِ، وقد أُمِيتَ أصْلُ بِنائِه.»[9] واستعمل علماء اللغة القدامى مصطلح (الممات) في معاجمهم، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: 170هـ) في معجمه (العين):» الترنُّمُ: فعل مماتٌ منه اشتقاق التّرَنُّمُ، ترنَّم تَرَنُّماً، إذا رجَّع صوته، وكذا ترنّمَ إذا مدَّ في صوته» [10] وبقية المصطلحات تكاد تكون مترادفة مع اختلاف قليل في المعنى، ومن ذلك:

- (المهمل): قال ابن سيده: « في سادٍ هنا إنه على النَّسَب لا على الفِعْل لأَنَّا لا نَعْرِف سَأَد البَتَّة إنما المَعْرُوف أَسْأَد وقيل سادٍ هنا مُهْمل» فإذا كان ذلك فليس بمَقْلُوبٍ عن شيء وسيأتي ذكرُه في موضِعه إن شاء اللّه وقد جاء السَّأد إلا أنِّي لا أَعْرِف له.» [11] وجعل ابن فارس (ت:395هـ) في كتابه (الصاحبي)، (المهمل) على ثلاثة أضرب. [12]

- (الاستغناء): ترك العرب بعض الألفاظ استغناءً بمرادف لها، كما في ماضي(يدع) و(يذر): (ترك)، واستغنوا به عن (وذر) و(ودع)، يقول ابن سيده: « ووَدَعَه يَدَعُه: تَركَه، وَهِي شَاذَّة. وَكَلَام الْعَرَب دَعْنِي وذرني ويَدَعُ ويذر وَلَا يَقُولَن: وَدَعْتُك وَلَا وذرتك. استغنوا عَنْهَا بتَرْكْتُكَ.» [13] و ذكر سيبويه مصطلح (الاستغناء) في كثير من المواضع من كتابه، ومن ذلك قوله: « يستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً»[14]

- (العُقْميِّ): الذي يقارب مصطلح المتروك والمصطلحات السابقة، و العُقْميِّ: هو الكلام القديم الغريب الغامض الذي تلاشى، وقد جاء في(المحكم) « وَكَلَام عُقْمِيٌّ: قديم قد درس، عَن ثَعْلَب. وَسمع رجل يَتَكَلَّم، فَقَالَ: هَذَا عُقْمِيّ الْكَلَام: أَي قديم الْكَلَام. « [15] وأضاف ابن منظور، بقوله:« ويقال: إنّه لا عالم بعُقْميّ الكلام، وعُقْبيِّ الكلام، وهو غامض الكلام لا يعرفه الناس ...» [16] ، وجاء هذا المصطلح عند الزمخشري، والزّبيدي. [17]

ومن الأوصاف التي تُشابه الممات، وتلتقي معه في بعض الجوانب، فهي أوصاف متقاربة الدّلالة، ويجمعها قلّة الاستعمال بسبب التنافر الصوتي، وهي: الرّديء والضّعيف و المذموم والقبيح والمرذول والمرغوب عنه، والغريب، وغيرها، فهي أوصاف تبتعد عن الفصاحة، وجاء في (المزهر): (فالمنكر): غير المعروف في أصل اللغة، و(الضعيف): ما انحطّ عن درجة الفصيح و(الرّديء) و(المذموم)، من أقبح اللّغات وأنزلها درجة، و(الحوشيُّ): وحشيُّ الكلام وغريبه، و(الشاذُّ): يلتقي مع (الحوشي) و(الغريب) و(النادر): من حيث غرابته و خروجه عن المعتاد من الاستعمال. [18] وممّا جاء في (المُحكم) من هذه المصطلحات:

- (الرّديء): يقول ابن سيده: « العَسّن: العرجون الْقَدِيم الرَّدِيء. وَهِي لُغَة رَدِيئَة.» [19]
- (الضعيف): قال ابن سيده: « رضَحَ رَأسه بِالْحجرِ يرضَحه رضْحا: رضه. ورضَحَ النواة يرْضَحُها رَضْحا: كسرهَا بِالْحجرِ. قَالَ أَبُو ذُؤَيْب:

مُسْتَوقِدٌ فِي حَصاهُ الشمسُ تَصْهَرُه ... كأنَّه عَجَمٌ بالبيدِ مرْضوحُ وَنوى رَضيحٌ، مرْضُوحٌ.

وَاسم الْحجر، المِرْضاحُ. وَالْخَاء لُغَة ضَعِيفَة. « [20]

- (الغريب): يقول ابن سيده: « الغيل: والغيل: الْعلم فِي الثَّوْب. وَالْجمع: أغيال، عَن أبي عَمْرو، وَبِه فسر قَول كثير: وحشا تعاورها الرِّيَاح كَأَنَّهَا ... توشيح عصب مسهم الأغيال، وَقَالَ غَيره: الغيل: الْوَاسِع من الثِّيَاب. وَزعم أَنه يُقَال: ثوب غيل. وكلا الْقَوْلَيْنِ فِي الغيل غَرِيب، لم اسْمَعْهُ إِلَّا فِي هَذَا التَّفْسِير. « [21]
- (النادر): يقول ابن سيده: « وَرجل تِرْعِيَّةٌ وتِرْعِىٌّ - بِغَيْر هَاء نَادِر — « [22]

● **ثالثا: منهج ابن سيده في إيراد الممات في معجمه (المحكم):**

من خلال تتبع ألفاظ الممات في معجم (المحكم)، يمكن أن تتعرّف على منهج ابن سيده في إيراد الألفاظ المماتة من خلال ما يلي:

1- **نسبة الأقوال إلى أصحابها:**

أ- ذكر ابن سيده أسماء علماء اللغة الذين نقل عنهم الألفاظ المماتة: كسيبويّه (ت:

180هـ) واللحياني(ت: 220هـ)، وثعلب(ت: 291هـ)، وكراع النمل (ت: 316هـ)، وابن جني (ت: 392 هـ)، وإن كان اللّحياني يتصدّر قائمة اللّغويين الذين نقل عنهم ابن سيده كلامه حول الألفاظ المماتة، ومن أمثلة ذلك قوله في مادة:(عرر): « وعَرْعارِ: لعبة لصبيان الْأَعْرَاب. وَهَذَا النَّحْو عِنْد سِيبَوَيْهٍ من بَنَات الْأَرْبَعَة، وَهُوَ عِنْده نَادِر، لِأَن فَعالِ إِنَّمَا عُدلت عَن أفْعَلَ في الثلاثي، ومكَّن غَيره عَرْعارِ في الأسميَّة » [23] وأحيانا يذكر ابن سيده الألفاظ المماتة وما في معناها دون أن يذكر أسماء من نقل عنهم، ومن أمثلة ذلك في مادة: (هَكَفَ)، يقول:» الهَكْفُ: السرعة في الْعَدو وَغَيره، وَهُوَ، فعل ممات. وهنكَفٌ: مَوضِع، مُشْتَقّ من ذَلِك، وَقد يكون رباعيا.» [24] ويتّضح لنا من الأمثلة السابقة أنّ ابن سيده لم يلتزم منهجا واحدا في نقل اللفظ المات، فتارة يعزو النقل لصاحبه وتارة أخرى ينقل القول دون نسبة.

2- تعقيبه وترجيحه:

ومن منهجه أحيانا أنّه يثري بعض الألفاظ بالشواهد والنقولات المتعدِّدة ويضيف ما يراه مناسباً للمادّة، فمثلاً في مادة:(عَنَدَ) يقول:» وناقةٌ عَنُودٌ: تَنكَّبُ الطَّريقَ من نَشاطها وقوَّتِها. والجمعُ عُنُد وعُنَّدٌ. وعِندي أَن عُنَّدًا لَيْسَ جمع عَنُود، لِأَن فَعُولاً لَا تُكَسَّرُ على فُعَّل. وَإِنَّمَا هِيَ جمعُ عاندٍ وَهِي مُماتَةٌ.» [25] هنا ابن سيده لا يرى بأنّ (عَنُود) تجمع على (عُنَّد)؛ لأنّ ما كان على وزن: (فَعُول) لا تجمع على فُعَّل، فيرى أنّ جمعها ممات وهو (عاند).

ويتّفق ابن منظور (ت: 711هـ) مع ابن سيده في أنّ (عند) مماتة. [26]

وفي مصلح (نادر)، والذي يلحق بالممات، في مادة: (عنن)، فيقول: « وعِنان اللجام: السّير الَّذِي تمسك بِهِ الدَّابَّة. وَالْجمع: أعِنَّة، وعُنُن: نَادِر. فَأَما سِيبَوَيْهٍ فَقَالَ: لم تكسر على غير أعِنَّة، لأَنهم إِن كسروه على بِنَاء الْأَكْثر، لَزِمَهُم التَّضْعِيف، وَكَانُوا في هَذَا أَحْرَى. يُرِيد: إِذْ كَانُوا قد يقتصرون على أبنية أدنى الْعدَد فِيغير المعتل، يَعْنِي بالمعتل: المدغم، وَلَو كسروه على فعل، فلزمهم التَّضْعِيف، لأدغموا كَمَا حكى هُوَ، ... من الْعَرَب من يَقُول في جمع ذُبَاب: ذُبّ.» [27] إذن يذكر ابن سيده بأنّ جمع (عِنان): (أعِنَّة)، ويحكم على جمع (عِنان) بـــ : (عُنُن) بأنّه نادر، ويستدلّ برأي سيبويه، بأن (عِنان) لا تجمع إلا على غير

(أعِنَّة)؛ ويعلّل سيبويه بأنه إذا جمع على جمع الكثرة يلزم التّضعيف، وهو الأولى.

ممّا تقدّم يتبيّن أنّ ابن سيده في عرضه للفظ الممات برزت شخصيته في الحكم على اللفظ، فلا يكتفي بالنقل عن علماء اللغة، وإنّما كان يعقّب ويرجّح ما يراه مناسبا.

3- ذكره علّة موت اللفظ وعدم ذكره:

ابن سيده في عرضه لممات الألفاظ قد يترك الحكم دون تعليل أو تعليق، فينقله بلفظه دون إضافة، ودون بيان سبب موت الألفاظ، ومن ذلك قوله: « والتَّسْهِيب: ذهَاب الْعقل، وَالْفِعْل مِنْهُ ممات.»[28] وأهمل هذا اللفظ ابن دريد في الجمهرة، والجوهري في الصحاح (ت: 393هـ).[29] ويوافق الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، وابن منظور ابن سيده في ممات هذا الفعل.[30] وقد يذكر ابن سيده علّة إماتة اللفظ، كما في قوله:» النَّزْزُ: فِعْلٌ مُماتٌ، وهو الاسْتِخْفَاءُ من فَزَعٍ وبه سُمِّيَ الرَّجُلُ نَزْزَةَ، و نَارِزَةَ، ولم يَجِئْ في كَلامِ العَربِ نُونٌ بَعدَها راءٌ إلاّ هذا، وليسَ بصَحِيحٍ."[31] فعلّل ابن سيده سبب موت الفعل هنا بسبب اجتماع النون وبعدها راء، (لعلة صوتية، وهو عدم التجانس الصوتي)، وهذا الحكم ذهب إليه ابن دريد.[32]

إذن يتبيّن ممّا تقدّم أنّ ابن سيده لا يسير على منهج واحد، فيذكر علّة ممات اللفظ، وأحيانا أُخَر لا يذكر علّة موت اللفظ .

4- استشهاده:

استدلَّ ابن سيده بموت الألفاظ بشواهد قرآنية، وأحاديث نبوية، وأبيات شعرية: فمن الآيات القرآنية استدلاله بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾[33] على موت مفرد كلمة (فرش) بمعنى صغار الإبل.[34]، واستشهاده بحديث: « لا صَرُورَةَ في الإِسْلامِ»[35] على التَّبتُّلُ وتَرْكُ النّكاحِ للواحد المفرد المذكر والمؤنث والجمع.

ومن الأبيات الشعرية استشهاد ابن سيده ببيت (ابن هرمة)، (البسيط):[36]

أمْ لَا تَذَكَّرُ سَلمَى وهيَ نازِحةٌ إلَّا اعتراكَ جَوَى سُقمٍ وتَسهيبُ .

وذلك على موت فعل لفظ (التَسهيبُ)، بمعنى: ذهاب العقل.

وعلى ممات مفرد (أكتاد)، بقول ذو الرمَّة، (الطويل): [37]

وَإذ هن أكتاد بحوضي كَأَنَّمَا زها الْآل عيدَان النخيل البواسق.

5- إيراده الممات من اللهجات العربية القديمة:

تناول ابن سيده هذه اللهجات في عرضه لموت الألفاظ في (المحكم)، ومن ذلك ممات فعل(هَدَسَ)، في قوله:» هَدَسه: يَهْدِسُه هَدْسا: طرده وزجره. يَمَانية مماته.» [38] وفي ممات لفظ (العَسْن) يقول: « العَسْن: العرجون الْقَدِيم الرَّدِيء. وَهِي لُغَة رَدِيئَة. وَقد تقدم أنه العسق، وَهِي رَدِيئَة أَيْضا. « [39] إذن يتبيّن أنّ للهجات أثر في تعليل ممات الألفاظ.

● رابعا: أسباب موت الألفاظ:

إنّ النظرة المتأنية للألفاظ المماتة في(المحكم)لابن سيده، وغيره من معاجم اللغة، توضح أسبابا متعدّدة، جعلت علماء اللغة يصدرون هذا الحكم عليها، ولعلّ من أهم هذه الأسباب: الأسباب الصوتية، والدلالية، والاقتراض اللغوي.

1 - الأسباب الصوتية:

تعدّ قرب مخارج الأصوات وتنافر الأصوات، من أهم أسباب ممات الألفاظ ؛ لأنّ النفس تنفر من تقارب الأصوات؛ لأنّه يحدث ثقلا في النطق، والعرب تطلب الخفّة في النطق، وتحدّث علماء اللغة عن التقارب الصوتي للحروف لما فيه من ثقل في النطق ونفور، وفي ذلك يقول ابن جني: « فمن ذلك ما رفض استعماله، لتقارب حروفه، نحو: سص، وطس، وظث، وثظ، وضشو شض، وهذا حديث واضح لنفور الحسِّ عنه، والمشقّة على النفس لتكلّفه، وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف أعني حروف الفم. « [40] ومن أمثلة التنافر الصوتي في المحكم، يقول ابن سيده:» النَّرْزُ: فِعْلٌ مُماتٌ، وهو الاسْتِخْفَاءُ من فَزَعٍ، وبه سُمِّيَ الرَّجُلُ نَرْزَةَ، ونَارِزَةَ، ولم يَجِئْ في كَلامِ العَربِ نُونٌ بَعدَها راءٌ إلّا هذا، وليسَ بصَحِيحٍ. « [41] إذن بيّن ابن سيده أنّ سبب عدم التجانس الصوتي في لفظ (النَّرْزُ)، هو اجتماع (النون) وبعدها (راء).

فصوتا (النون) و (الراء)، من مخرج واحد: (لثوي)، فـ (النون) يتم نطقها باتصال

طرف اللسان باللثة اتصالاً محكماً، يمنع مرور الهواء، ويخفض الطبق اللين فيسمح بمرور الهواء من تجويف الأنف، وأمّا (الراء) يتم إنتاجها عن طريق طرق اللسان في اللثة طرقات متتالية، وصوت (الزاي) قريب من مخرجهما ، مخرجه: أسناني لثوي. [42]

وفي قوله: « الثَّطَعُ: الزُّكَام. وَقيل: هُوَ مثل الزُّكَام. وَقد ثُطِع. وثَطَعَ الرجل ثَطْعا: أبْدى، وَلَيْسَ بثبت. » [43] إذن لتجاور؛ صوتا (الثاء)، و(الطاء) وقرب مخرجهما، حدث تنافر صوتي، فصوت (الثاء): (لثوي)، و(الطاء): (أسناني لثوي) و؛ لبعد مخرج صوت (العين)، فهو صوت حلقي. [44] وبالتالي أهملها العربي، واستعمل ألفاظا سهلة تدلّ عليها، مثل: (الزّكام).

2- الأسباب الدّلاليّة:

أ- مانع ديني: من أسباب موت الألفاظ تغيّر الدلالة وانتقال اللفظ من معنى إلى آخر، وأكثر ما حدث ذلك في صدر الإسلام، وعبّر عن ذلك قول ابن فارس: « كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم. فلمّا جاء اللّه جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونُسخت ديانات وأبطلت أمور، ونُقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شُرعت وشرائط شُرطت.» [45]

ومن هذه الألفاظ التي أميتت بعد ظهور الإسلام لفظة (العَتِيرَةُ)، وهي الشاة كانت تقدم قربانا للآلهة في عهد الجاهلية، يقول ابن سيده: « وعَتَرَ الشَّاة والظبية وَنَحْوهمَا يَعْتِرُها عَتْراً وَهِي عَتِيرَةُ: ذَبحهَا، والعَتِيرَةُ: أول مَا ينْتج، كَانُوا يذبحونه لآلهتهم.» [46]

ب- المانع الاجتماعي:قد تنحطّ دلالة الكلمة فتدلّ مباشرة على ما يستقبح ذكره، كدلالتها الصريحة على قذارة أو نجس، أو ... فيكون بذلك سببا لقلّة استعمالها ثمّ موتها، فيبحث المجتمع عن كلمة بديلة ليس فيها ذلك المعنى المباشر، أو يلجأ إلى الكناية، ثمّ تستعمل الكلمة، فتحمل مع كثرة الاستعمال ما تحملته سابقتها. [47]، ومن الأمثلة على ذلك كلمة (الغائط) التي تعني أصل استعمالها في اللغة: المكان المنخفض، أو الوادي، ثم انتقلت إلى الكناية عن قضاء الحاجة، فبيّن ابن سيده في معجم (المحكم) انتقال دلالة اللفظ، بقوله:» الْغَائِط: مَا اتَّسع من الأَرْض مَعَ طمأنينة، وَجمعه: أغواط، وغياط،

وغيطات وَالْغَائِط: اسْم الْعذرَة نَفسهَا، لأَنهم كَانُوا يلقونها بالغيطان. وَقيل: لأَنهم كَانُوا إِذا أَرَادوا ذَلِك أتوا الْغَائِط.» [48] وقد يكون للكلمة مدلول اجتماعي مكروه، يقول ابن سيده: « وبنو رَشْدانَ بَطنٌ كانوا يُسَمَّونَ بَنِي غَيَّانَ فأسْمَاهُم النبيُّ ﷺ بَنِي رَشْدان ورواه قومٌ بَنُو رِشْدان بكسر الراء وقال لِرَجُلٍ ما اسْمُك قال غَيَّانُ فقال بل رَشْدَانُ وإنما قال النبيُّ ﷺ رَشْدَانَ على هذه الصِّيغةِ لُيحاكِيَ به غيّانَ وهذا واسعٌ كثيرٌ في كلامِ العرب.» [49]إذن النبي – ﷺ – كره لهم صفة (غيّان) من الغي والضلال، فأبدلهم بصفة (الرشدان) من الرشد والهداية، فأمر بإهمال الاسم الأول وإماتته.

فمن هنا حدث تطور في بعض ألفاظ وتراكيب اللغة العربية، فأُهمِلت أسماء من بينها أسماء الأيام و الأسابيع والشهور في الجاهلية، فاستغنت عنها العرب واستعملت أسماء جديدة، فذكر ابن سيده هذه الأسماء المتروكة:

أ- أسماء الشهور: المُؤْتَمِرُ: المُحَرِّم، ناجِر: صَفَر، خَوّان: الربيع الأول، بُصَانٌ: الربيع الآخر، الحَنِينُ: جمادى الأولى، رُبَّةٌ ورُبَّى: جُمادَى الآخِرَةُ، الأصَمُّ: رَجَب، عاذِل: شعبان، ناتِق: رمضان، وَعِل: شَوَّال، وَرْنَةُ: ذُو القَعْدةِ، بُرَك: ذو الحجّة. [50]

وكما أُميتت أسماء الشهور السابقة، أُميتت أسماء الأيام في الجاهلية، وهي:

شِيَار: السَّبْت، أوَّل: أول الْأَيَّام عِنْدهم الْأَحَد، أهْوَد، وأهْوَنُ: الاثنين، جِبار، وجُبَار: بالضم والكسر: الثلاثاء، دِبار ودُبار: بالضم والكسر: الأربعاء، مُؤنِس: الخميس، عُروبة: الجمعة. [51]

3- الاقتراض اللغوي:

يعدّ الاقتراض بين اللغات أمرا طبيعيا، يحدث نتيجة لأي تأثر وتأثير يحدث بين لغتين، فـ « الاقتراض اللغوي أو الاستعارة وهي عملية تمارسها جميع اللُغات الحيَّة باستِمرار، إذ تقترِض اللُّغة أي لغَة ألفاظا معيَّنة أو حَتى صيغَة صرفِية وتراكيب نحوية للتعبير عن مفاهيم جديدة لم يعهدها الناطقون بتلك اللُّغة مِن قبل» [52] ، ولهذه الظاهرة عوامل وأسباب أدّت إلى نشوئها منها:

التجاور، والهجرة، والمكانة، والحاجة. [53]

وقد وردت في معجم (المحكم) ألفاظ كثيرة من لغات أخرى استعملتها العرب، واستغنت بها عن اللفظ الأصيل، ومن أمثلة ذلك: لفظ (التّامُورَةُ)، يقول ابن سيده: « والتّامُورَةُ عِرِّين الأَسَدِ وقِيلَ أَصْلُ هذه الكلمةِ سريانِيَّة، والتّامُورُ، والتّامُورَةُ جَميعاً: الإِبْرِيقُ» [54] و وافقه الزّبيدي في ذلك. [55] وكذلك لفظ (التُّنورُ)، يقول ابن سيده: « التُّنورُ: نوعٌ من الكَوانِين. قال أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى: التَّنُّورُ تَفْعُول من النّارِ، وهَذا من الفَسادِ بحَيْثُ تَراهُ، وإِنَّما هو أَصْلٌ لم يُسْتَعْمَلْ إلا في هذا الحَرْفِ، وبالزِّيادةِ، وصاحِبُه تَنّارٌ. والتَّنُّورُ: وَجْهُ الأَرضِ، فارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ. وقِيلَ: هو بكُلِّ لُغَةٍ. » [56] ذكر الثعالبي (ت: 429هـ) في كتابه (فقه اللغة وسر العربية) أنّ لفظ (التُّنورُ) من الأسماء المستعملة في لغتي العرب والفرس[57]، وبذلك جاء موافقا لرأي ابن سيده.

إذن يتبيّن أنّ تلك الكلمات المعرّبة أو المقترضة قد حلّت محل كلمات عربية أصيلة مُماتة.

● **خامسا: أنواع الممات في المحكم:**

الممات في المحكم على نوعين: الممات من الأسماء، والممات من الأفعال:

أ- الممات من الأسماء:

ومن الأسماء الجموع التي أميت مفردها:

- (أخلاط، وخليط، وخُلَيْطَي، وخُلَّيْطَي): يقول ابن سيده: « أخلاط من النَّاس، وخليط، وخُلَيْطَي، وخُلَّيْطَي، أَي: أوباش مُختلطون، لَا وَاحِد لشَيْء من ذَلِك. » [58]

- المحاسِنُ : بيّن ابن سيده أنّ المحاسن: المواضِع الحسَنَةُ من الْبدن، ونقل عن بَعضهم: أَنّ واحِدها مَحْسَنٌ، وردّ ابن سيده بأنّ هذا ليْسَ بالقوي وَلَا بالْمَعْرُوف، إِنَّمَا المحاسِنُ عنْد النَّحْويين وَجُمْهُور علماء اللغة، جمع لَا وَاحِد لَهُ. [59] ومن الأسماء المصغّرة التي أُميت مكبرها:

- طُهَيَّةُ: يقول ابن سيده: « وطُهَيَّةُ: قَبيلَة، النّسَب إِلَيْهَا طُهَوِيٌّ وطُهْوِيٌّ وطَهَوِيٌّ وطَهْوِيٌّ،

وَذكروا أَن مكبره طَهْوَة، وَلَكنهُمْ غلب استعمالهم لَهُ مُصَغرًا، وَهَذَا لَيْسَ بِقَوي » [60]
إذن ابن سيده ضعّف من ذهب إلى أنّ مكبّر لفظ (طهية): (طهوة)، وأنّ الاستعمال بالتصغير غلب على الأصل.

ب- الممات من الأفعال:

جاء في (المُحكم) أفعالا أُميتت في العربية، واستغنت عنها العرب، ومن أمثلة ذلك:

- الـوَدْهُ: يقول ابن سيده: « الـوَدْهُ: فعل ممات، وَقد وَدِهَ وَدَهـاً. و أَوْدَهَنِي عَن كَذَا: صدني. واستَوْدَهَتِ الْإِبِل: اجْتمعت وانساقت.» [61]، وأماته ابن دريد، وذهب إلى أنّها لغة قديمة. [62]

- أثر: يقول ابن سيده: « وسَيْفٌ مَأْثُورٌ في مَتْنِه أَثْرٌ وقيلَ هُوَ الَّذِي يُقالَ إِنَّه تَعْمَلُه الجِنُّ ولَيْسَ من الأَثَرِ الَّذِي هو الفِرِنْدُ وعِنْدِي أَنَّ المَأْثُورَ مَفْعُولٌ لا فِعْلَ لَه كما ذَهَبَ إِليه أَبُو عَلِيٍّ في المَفْؤُودِ الَّذِي هو الجَبانُ.“ [63] ، ونقله الزَّبيدي، وابن منظور. [64] إذن بيّن ابن سيده أنّ لفظ (المأثور) في هذا السياق فعله الثلاثي مُمات.

■ الخاتمة:

1. استعمل ابن سيده مصطلح (الممات) للألفاظ التي أهملها العرب في الاستعمال، وبقية المصطلحات تكاد تكون مترادفة مع اختلاف قليل في المعنى، كالمهمل، والغريب والاستغناء، والعُقْميِّ كغيره من علماء اللغة القدامى في معاجمهم.

2. ومن الأوصاف التي تُشابه الممات، وتلتقي معه في بعض الجوانب، فهي أوصاف متقاربة الدّلالة، ويجمعها قلّة الاستعمال بسبب التنافر الصوتي، وهي: الرّديء، والضّعيف، والغريب، والنادر.

3. ومن ملامح منهج ابن سيده أنّه لا يسير على منهج واحد في نقل اللفظ المُمات، فتارة يعزو النقل لصاحبه وتارة أخرى ينقل القول دون نسبة، و برزت شخصيته في الحكم على اللفظ، فلا يكتفي بالنقل عن علماء اللغة، وإنّما كان يعقّب ويرجح ما يراه مناسبا.

4. واستدلَّ ابن سيده بموت الألفاظ بشواهد قرآنية، وأحاديث نبوية، وأبيات شعرية، وتناول ابن سيده اللهجات العربية القديمة في عرضه لممات الألفاظ؛ لما لها من أثر في ذلك.

5. طلبا للخفة في النطق أهملت العربية، ألفاظا أصواتها متقاربة المخارج، وعرض ابن سيده أمثلة على التنافر الصوتي، الذي نتج عنه إهمال هذه الألفاظ و إماتتها، واستبدالها بألفاظ أخرى متجانسة الأصوات.

6. من أسباب موت الألفاظ تغيّر الدلالة وانتقال اللفظ من معنى إلى آخر؛ لسبب ديني كالدلالة

على شرك، وانحطاط دلالة الكلمة، أو لمدلولها الاجتماعي المكروه، وكان للتّوجيه النّبوي دور كبير في ممات هذه الألفاظ.

7. والاقتراض اللغوي له دور في مُمات الألفاظ، فرصد ابن سيده في (المُحكم) كلمات معرّبة أو مقترضة قد حلّت محل كلمات عربية أصيلة مُماتة.

8. جاء في (المُحكم) الممات على نوعين: الممات من الأسماء، والممات من الأفعال، وجاء ممات الأفعال موافقا لعلماء اللغة كابن دريد، ونقل الزَّبيدي، وابن منظور أقوال ابن سيده في ممات بعض الأسماء والأفعال.

■ هوامش البحث:

1 . ينظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 14/ 147، مادة: (موت).

2. الرجز بلا نسبة في لسان العرب، 14/ 147، مادة: (موت).

3. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن سيده، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م، ج9/ 543، 544، مادة:(مَوَتَ).

4. ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال السيوطي، تح: محمد جاد المولى، وآخرون، دار الجيل، بيروت، د- ت، د- ط،1 /212، 213.

5. ينظر: تاريخ آداب العرب للرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، 142/1 6 .

ينظر: المولد في العربية، حلمي خليل، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1985م، ص 147- 149.

7. ينظر: بحث الرّكام اللغوي، رمضان عبد التواب، المجلة العربية، الرياض، ع/1، السنة الثانية، 1977م، ص55- 60، والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، مظاهره وعلله وقوانينه، القاهرة، ص15،12، 102.

8. ينظر: موت الألفاظ في العربية، عبد الرزاق فراج الصاعدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ،2002م، ص225، وبحث بعنوان: الممات في لسان العرب، إيمان المدني، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، م/10، ع/3، 1438هـ، 2017م، ص 1429- 1430.

9. المحكم ج9/332، مادة:(د ل ن).

10. معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 1431هـ، مادة: (ر ن م)، 7/400.

11. المحكم، ج8/540، مادة: (س أ د).

12. ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، أبو الحسن بن فارس، تح: عمر فاروق، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1993م، ص81- 82.

13. المحكم، 2/ 330، مادة: (و د ع).

14. ينظر: الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1/ 25.

15. المحكم لابن سيده، 1 / 251، مادة: (ع ق م).

16. لسان العرب، 12/ 414، مادة:(ع ق م).

17. ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1998 /671، مادة:(ع ق م)، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد مرتضى الزّبيدي، دار الهداية، 1431هـ، 33/ 118،119، مادة:(ع ق م).

18. ينظر: المزهر ص 175- 178.

19. المحكم، ج1/492، مادة: (ع س ن).

20. المصدر السابق، ج3/ 128، مادة:(ر ض ح).

21. المصدر نفسه، ج16/6، مادة:(غ ي ل).

22. المصدر نفسه، 2/ 239، مادة: (ر ع ي).

23. المصدر نفسه، ج1/ 91، مادة: (عرر).

24. المصدر نفسه، ج145/4، مادة: (ه ك ف).

25. المصدر نفسه، ج2/ 19، مادة: (عند).

26. ينظر: لسان العرب، ج10/ 297.

27. المحكم، ج99/1- 100، مادة: (عنن).

28. المصدر السابق، ج222/4، مادة: (هـ س ب).

29. ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن دريد، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، 1/ 200، مادة: (هـ س ب)، والصحاح مادة: (س هـ ب).

30. ينظر: تاج العروس ج3/ 80 ، ولسان العرب، ج7/ 258، مادة: (س هـ ب).

31. المحكم، ج28/9، مادة: (ن ر ز).

32 . ينظر: الجمهرة، 217/2، مادة: (رزن).

33. سورة الأنعام، من الآية (142).

34. ينظر: المحكم، 50/8، مادة: (ف ر ش).

35. المصدر السابق، 8/ 265، مادة: (ص ر ر)، والحديث في سنن أبي داود الأزدي، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1431هـ، كتاب (المناسك) باب (لا صرورة في الإسلام)، حديث رقم 1729،ج/2، ص141.

36. ديوان: ابن هرمة القرشي، تح: محمد نفّاع، وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص66، والمحكم لابن سيده، ج222/4، مادة:(هـ س ب).

37. ديوان: ذو الرمة، شرح: الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1416هـ، 1996م، ص94.

38. المحكم، ج212/4، مادة: (هـ د س).

39. المصدر السابق، ج1/492، مادة: (ع س ن).

40. الخصائص، ابن جني، تح: الشربيتي شريدة، دار الحديث، القاهرة،2007م، 1/ 54.

41. المحكم، ج9/28، مادة: (ن ر ز).

42. ينظر: الصوت اللغوي، مختار عمر، عالم الكتب، ط4، القاهرة، 1427هـ، 2006م، ص316-317.

43. المحكم،1/ 540، مادة: (ث ط ع).

44. ينظر: الصوت اللغوي، ص 315،316،321.

45. الصاحبي 78 ص.

46. المحكم، ج2/43، مادة: (ع ت ر).

47. ينظر: موت الألفاظ في العربية، ص 446.

48. المحكم، ج6/42، مادة:(غ و ط).

49. المصدر السابق، 8/26، مادة: (ر ش د).

50. ينظر: المصدر نفسه، ج 10/ 302، مادة: (أم ر)، ج7/ 387، مادة: (ن ج ر)، ج 5/ 304، مادة:(خَون)، ج8/345، مادة: (ب ص ن)، ج2/537، مادة:(حنَّ)، ج10/240، مادة: (ر ب ب)، ج 8/ 277، مادة: (ص م م) ، ج2/ 81، مادة: (ع ذ ل) ، 6/340، مادة: (ن ت ق) ، و ج2/ 363، مادة: (و ع ل) ، 10/ 318، مادة: (ورن) ، ج7/ 27، مادة: (ب رك) .

51. ينظر: المحكم، ج8/ 102، مادة: (ش ي ر)، ج3/448، (و ح د)، ج4/ 428، مادة: (هـ و ن) ، ج 7/404، مادة: (ج ب ر)، ج9/ 316، مادة: (د ب ر) ، ج8/555، مادة: (أ ن س) ، 1/350، مادة: (ج م ع).

52. علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2008م، ص109- 110.

53. ينظر: الاقتراض في العربيَّة، مروج غني جبار، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة بغداد، كلية العلوم، 1432ه، 2011م، ص521 – 523.

54. المحكم، 10/302، مادة: (ت م ر).

55. ينظر: تاج العروس، 79/10، مادة:(ت م ر).

56. المحكم، 9/ 475، مادة: (ت ن ر).

57. ينظر: فقه اللغة وسر العربية، أبي منصور الثعالبي، تح: أملين نسيب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م، ص 36.

58. المحكم، 115/5، مادة: (خ ل ط).

59. ينظر: المصدر السابق، 3/ 198، مادة: (ح س ن).

60. المصدر نفسه، 4/ 410، مادة: (هـ ط و).

61. نفسه، 413/4، مادة: (و د هـ).

62. ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، 689/2، مادة:(د و هـ).

63. المحكم، 176/10، مادة: (أث ر).

64. ينظر: تاج العروس، 20/10، ولسان العرب 9/4، مادة: (أث ر)، والمحكم، 188/10، مادة: (ث ر ي).